المحاضرة 5

القصة على لسان الحيوان

يرجع تاريخ نشأة القصة على لسان الحيوان إلى بلاد الهند واليونان، (أما أول عمل مكتوب في هذا الشأن فهو حكايات الكاتب اليوناني " ايزوب" ، وغن ظلت هذه الحكايات محدودة التأثير، والدليل على ذلك هو أن "كليلة ودمنة هو الكتاب الأول الذي تفرعت منه جميع قصص الحيوانات المأثورة في الأدب العالمي خلال أربعة عشر قرنا بدءا من منطق الطير للغزال ومنطق الطير لفريد الدين العطار في الأدب الفارسي وحكايات "لافونتين" في الأدب الفرنسي والشعر القصصي لأحمد شوقي، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العديد من اللغات القديمة والحديثة بين القرن العاشر والقرن السادس عشر الميلاديين، وترجم إلى الفارسية خلال القرن السادس الهجري مما يدل على أن الأصل الفهلوي مفقود)

-أصل الكتاب:

يقال إن أصل الكتاب هندي، إذ كان العالم الفارسي برزويه مولعا بالحكمة والعلم وكان مقربا من كسرى أنو شروان، فقرأ أن الهنود لديهم نبات ينثر على الميت فيتكلم ويحى ، فارتحل إلى الهند بتشجيع من الملك وظل يبحث ويتقصى إلى أن عرف أن هذا الكتاب ما هو إلا رمز لكتاب كليلة ودمنة الموجود لدى حاكم الهند، ولا يسمح لأحد بالاطلاع عليه، إلا أن برزويه بحكمته استطاع الاطلاع على النسخة الهندية وكان يرسل على كسرى ما يحفظه تباعا، ويدور الكتاب حول قصص يرويها الفيسفوف بيدبا للملك دبشليم، وكان قد اطلع ابن المقفع على النسخة الفارسية وكانت لها الأثر البليغ في نفسه ذلك أن الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تحيط بالفيلسوف بيدبا والملك ذاتها مع ابن المقفع والخليفة المنصور الذي عرف ببطشه وقوة بأسه ، فكان بحاجة إلى النصح غير المباشر كما رأى ابن المقفع.

وقد عرب ابن المقفع كليلة ودمنة متصرفا فيه بعض التصرف، معيدا ترتيب بعض فصوله ، والغرض من تعريب الكتاب كما يذكر أن ابن المقفع لما صار مقربا من الخليفة أبي جعفر المنصور، وموضوعا لانتقادات واتهامات بالزندقة من الوزراء...، بادر إلى تعريب الكتاب على سبيل إسداء النصح للخليفة، ونشر بعض الآراء السياسية حول الحكم والحكام بطريقة غير مباشرة.

وكتاب كليلة ودمنة موضوع على لسان الحيوانات والبهائم وهو يتعرض للعديد من القضايا المتعلقة بالحكم والحكام ورجال الحاشية وطرق التعامل مع الساسة والمسؤولين الكبار.

خصائص الكتاب:

-كل فصول كليلة ودمنة تنطلق من قصة إطار يطلب فيها الملك دبشليم من الفيلسوف " بيدبا " أن يشرح له مثلا سائدا(قال دبشليم الملك للفيلسوف بيدبا" قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب وإلى ما صار عاقبة أمره من بعد ذلك ، فحدثني إن رأيت عن إخوان الصفاء كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض) ويلبي الفيلسوف طلبه بشرح المثل عبر سرد حكاية الحمامة المطوقة، والحكاية بدورها قد تصبح حكاية إطار إذ تتفرع منها قصص أخرى.

- فضح الفساد الاجتماعي والسياسي والأخلاقي في عصره، فتشكف القصص عن زيف المجتمع وفساده من جوانب عدة.

-عنصر التشويق الذي يحضر في كل القصص مع المتعة من خلال الأساليب الأدبية وعنصر العجائبية مما يجعل القارئ يقبل على القصة ويسعى الى تقفي أحداثها للوقوف على أبعادها وعبرها حتى نهايتها.

إلى جانب المغامرات العجيبة والمفارقة للواقع التي يقوم البطل، ولعل ذلك ما يبرر استمرار وتتابع عملية السرد القائمة بين شهرزاد وشهريار، "وتتجلى العجائبية في الليالي من خلال مزجها بين الخيال والواقع الحقيقة والخرافة وتكسيرها للحدود بين عوالم الإنس والجن، وتتعامل مع الحيوان كما تتعامل مع الإنسان والعكس بالعكس وقد يمسخ الإنسان فيها حيوانا ويعود الحيوان إنسانا كما كان، وهي تكشف عن عوالم السحر والخوارق وترتقي بالمألوف إلى مستوى الغريب والعجيب"